جريدة الديار ٢ ت ١٩٩٩

رحلة في خفايا الذات الانسانية

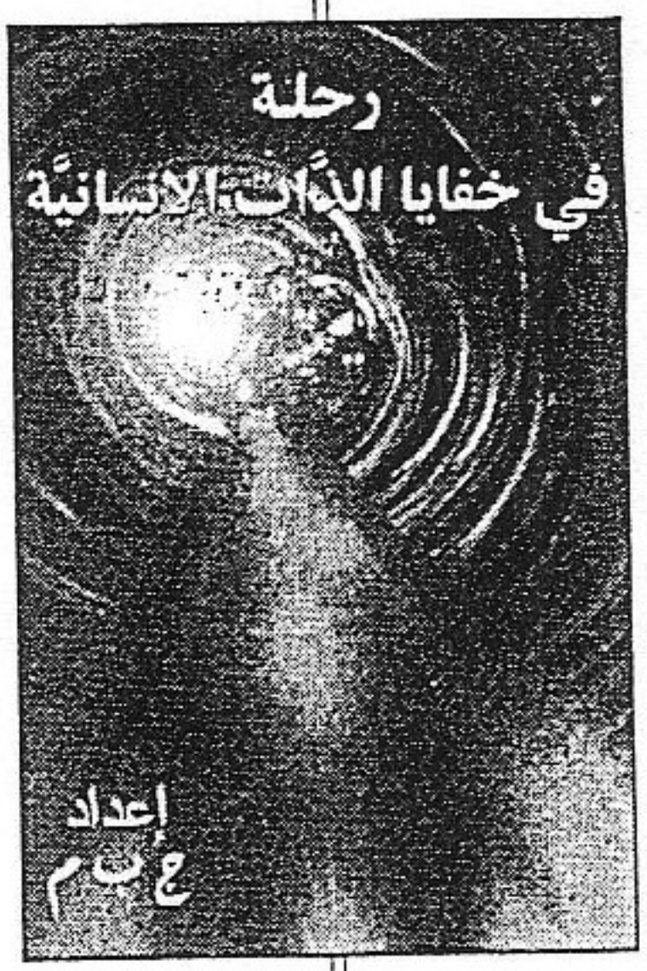

يبدو ان ادب الرحلات الذاتية في اعماق النفس هو من بين اختصاصات علوم باطن الانسان – الايزوتيريك. فبعد «رحلة الى عالم المجهول» و«رحلة في مجاهل الدماغ البشري».. يطل علينا اليوم «رحلة في خفايا الانسانية»، وهي قصة فريدة لانسان يتعلم في مدرسة الارادة، يتثقف بالوعي، يترقرق بالمحبة وينمو بالحكمة.. قصة مسلوخة من بواطن الوجود الانساني. بطلها، هدفها ومنتهاها واحد، هو الانسان نفسه، كل انسان اراد ان يعرف المستور.. فبعدما عرفه، اكتشف نفسه وحقق ذاته في رحلة ثلاثية المراحل ابعادها فضاءات لا متناهية.. وموجوداتها لا تخطر في البال! رحلة حياة تتضمن من الفكر ارادة، ومن الارادة محبة، ومن المحبة حكمة.

كتاب يسلط الضوء على المجاهل التي تغني حياة الانسان، ويكشف مسار تعلم مبسط ومكثف.. فيه من عمق الفكر اسلوب وعي.. ومن المنطق طريقة حياة.. وفيه من العواطف التزام بالحب الى حد التقديس، الى حد تفعيل الفكر بالوعي، وتفعيل القلب بالحكمة!

يتطرق الكتاب الى آفاق جديدة وبعيدة في تقنية اعرف نفسك.. والى جانب بساطة وسلاسة اسلوبه، ورقة وشفافية عمق مضمونه، فيه ما يحمل القارئ على المضي عبر عواصف هذه الحياة العصرية الصعبة بشجاعة سلام حقيقي وبفرح ايضا. وذلك لاحتوائه على منهج واضح يكاد يكون تفصيليا، منهج يمكن لاي كان تطبيقه في حياته، في نهاره وفي ليله ايضا.. فيجد، وفي وقت غير طويل، انه تمكن من التواصل مع نفسه، ومن الدخول الى اعماق ذاته، وكشف اسرارها، وفهم اسباب مشاعرها، ودوافع تصرفاتها، وغوامض علاقتها المضطربة مع الآخرين ومع الحياة برمتها. وهو ليس فقط كتابا عن الكشف، بل ايضا عن ايجاد النقصان واسلوب التواصل الى توازن داخلي ومع المحيط الخارجي. والنتيجة تكون شبه سيطرة كاملة على النفس واكاد اقول على احداث الحياة الشخصية. يقول المؤلف في كتابه: «بقدر ما تعرف نفسك تتحقق ان سبب كل شيء ينطلق من ذاتك، ونتيجة كل شيء تعود الى ذاتك»!

بسرده الروائي وبصيغة المتكلم، يسهل الكتاب على القارئ هضم مضامينه الحياتية الراقية. فتناول مواضيع عويصة كمسألة الارادة، وترويض النفس، وحرية الاختيار، وآفاق العقل، والمحبة بكل مفرداتها، والوعي وادواته، والحكمة وهي تضفي نورا على الفكر، وقانون التطور الحتمي، واستمرارية الحياة، ومواضيع غيرها لا تأتي جافة صعبة او منفرة.. بل تجمع بمنتهى الشاعرية، المنطق المادي العلمي الى المنطق الانساني السامي.

«رحلة في خفايا الذات الانسانية» هو ربما الكتاب الاول الذي ياخذنا في مشوار عبر ابواب وابواب.. ندخل بابا فنكتشف ما وراءه، ليقودنا هذا الاكتشاف الى باب آخر وآخر وآخر.. وكأن لا نهاية للمعرفة، وكأن الابواب موجودة في الفضاء الكوني في الوقت عينه هي ابواب ذاتية: «كلما اغوص في التأمل، ارى بابا جديدا من الوعي ينفتح في ذاتي.. اعبره فتتكشف ابعاد لم اعرفها قبلا، ولم تخطر ببالي ابدا».

* عنوان كتاب الايزوتيريك الثامن والعشرين «رحلة في خفايا الذات الانسانية». تأليف د. جوزف مجدلاني (ج ب م) في ٢٠٨ صفحات من القطع الوسط. منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء، بيروت.